ملخص كلمة

البَطْرِيَرْك إغناطيوس أفرام الثَّاني(*)

فضيلةَ السَّيِّدِ الدُّكتور أحمد الطَّيِّب، شيخِ الأزهرِ، ورئيسِ مجلسِ حكماءِ المسلمينَ.

ملخص كلمة البَطْرِيَرْك إغناطيوس أفرام الثَّاني

أصحابَ القداسةِ والغبطةِ والسَّماحةِ..

أيَّتُها السَّيِّداتُ.. أيُّها السَّادةُ..

بعد شكرِ اللهَّ تعالىٰ علىٰ هذه النِّعمةِ العظيمةِ الَّتي يُعطيها لعبادِه أن يجتمع الإخوةُ معًا، يُشرِّفُني أن أَنقُلَ لكمْ محبَّةَ قداسةِ الأنبا البَطريَرك إفرام، بَطريَركِ أنطاكيا وسائرِ المشرقِ، والرَّئيسِ الأعلىٰ للكنيسةِ السّريانيةِ في العالمِ، مقرونةً بدعائِه إلىٰ الرَّبِّ الإلهِ ليُكلِّلَ أعمالَ هذا المؤتمرِ المهمِّ بالنَّجاحِ والتَّوفيقِ، مثمِّنِينَ كلَّ الجهودِ الَّتي يبذُلها الأزهرُ الشَّريفُ من أجلِ تدعيمِ أركانِ العيشِ المشتَرَكِ بين عبادِ اللهَّ في أرضِنا في المشرقِ، وسائرِ أنحاءِ العالمِ.

أيها الإخوةُ..

يقول النبيُّ أشعياء -أحدُ أنبياءِ العهدِ القديمِ-: «ويقطعون سيوفَهم محاريثَ، ورماحَهم مناجلَ، ولا ترفعُ أمَّةٌ علىٰ أمَّةٍ سيفًا، ولا يتدرَّبونَ علىٰ الحربِ فيما بعدُ»، هذه العبارةُ محفورةٌ الآن علىٰ ما يُعرف بـ«حائطِ أشعياءَ» بمنطقةِ «مانهاتن» في مدينة نيويورك الأمريكيَّةِ، وذلك في مواجهةِ مبنىٰ الأممِ المتَّحدَّةِ؛ للتَّذكيرِ بأنَّ الهدفَ الرَّئيسَ للمؤسَّسةِ الأمميَّةِ، والفكرةَ الَّتي نشأتْ من أجلِها، كانت الحفاظَ

على السَّلامِ العالَمِيِّ، ودلالةُ الكلماتِ لا تحتاجُ إلى شرحٍ؛ فالسُّيوفُ الموجَّهةُ إلى الصُّدورِ تَضحَى محاريثَ للأرضِ، تَبحَثُ عن حَقنِ الدِّماءِ، والرِّماحُ تتحوَّلُ إلى مناجلَ تحصُدُ خيرَ ما زَرَعَ الإنسانُ، ولا تتطاحنُ الأممُ، ولا يبقى مجالٌ للحَنَقِ، بل يسعى الذِّئبُ مع الحَمَلِ دون تفكيرٍ في الفتكِ به، وبذلك يطرحُ أشعياءُ -النَّبيُّ الَّذي ظَهَرَ قبلَ السَّيِّدِ المسيحِ بثمانمائة عامٍ- ما أَوحى به اللهُ تعالى عن سلامٍ سيَسُودُ العالمَ بأَسرِه.

لم أجد أيها الأحبَّاءُ كلمةً تُمَهِّدُ لمصطلحِ «المُواطَنةِ» الحقيقيَّةِ إلَّا كلمةَ «السَّلامِ»، فإذا كانت «المُواطَنةُ» فكرةً إنسانيَّةً وشرعيَّةً دوليَّةً، تقيمُ وضعيَّةً للشَّخصِ وحالتِه في صِلتِه مع الوطنِ وإخوتِه المواطنِينَ، وبالقانونِ الَّذي يَحمي هذه المُواطَنةَ، ويُشرِكُ جميعَ المُواطِنِينَ في الحقوقِ والواجباتِ، هذا ما كنَّا نعتقدُه ونسعى إلى تحقيقِه قبل أن يَظهَرَ ما يُسمَّى «الرَّبيعُ العربيُّ»، ولكنَّنا بعد أنِ اختلطتِ السِّياسةُ بشوائبَ مختلفةٍ من أفكارٍ دينيَّةٍ تكفيريَّةٍ بعيدةٍ كلَّ البعدِ عن الفكرِ الدِّينيِّ الحقيقيِّ، زادتِ الفجوةُ اتِّساعًا بين المواطنِ وبين حُلْمِهِ بالمُواطَنةِ، إن لم نَقُل أنَّنا فَقَدنا الثِّقةَ في أنفسِنا ومبادئِنا؛ لكونِ قانونِ الدَّولةِ الرَّسميِّ يَنكسِرُ، بل يتلاشى أمامَ قانونٍ وشريعةٍ تَفرِضُ نفسَها بقوَّةٍ تحت ما يُسمَّى بشريعةِ اللهِ على الأرضِ، وبهذا المُنطَلَقِ لا يُمكنُني أن أفكِّرَ بوطني ما لم أكن أعيشُ بسلامٍ.

السَّلامُ الَّذي هو عطيَّةٌ من اللهِ تعالى، السَّلامُ الَّذي هو اسمٌ من أسماءِ اللهِ الحُسنى؛ فلا أحدَ يستطيعُ أن يَفصِلَ بين اللهِ والسَّلامِ.. السَّلامُ في لغةِ الأديانِ السَّماويَّةِ هو

الحياةُ والبَرَكةُ والمحبَّةُ والرَّحمةُ والفرحُ والطُّمأنينةُ والأمانُ والعدلُ، وهو ضدُّ الحربِ والعُنفِ والتَّسلُّطِ وغيرِها من الأمورِ التي تَفرِضُ التوتُّرَ والتشنُّجَ بين الإنسانِ وأخيهِ الإنسانِ.. هذا ما تُعلِّمُنا إياهُ السماءُ والأديانُ السماويَّةُ، ولكن هل هناك رغبةٌ دوليَّةٌ أن يسودَ العالمَ السَّلامُ الحقيقيُّ الفعَّالُ، ويكونَ نواةً لتعزيزِ فكرةِ المُواطَنةِ الحقيقيَّةِ؟! هل أخَذَنا ما يكفي من الدُّروسِ لرَدعِ كلِّ مَن يُفكِّرُ في إفسادِ السَّلامِ العالَميِّ وإشعالِ الحروبِ على الأرضِ؟ هلِ اتَّفَقَ العالَمُ أجمعُ على مفهومٍ واحدٍ للمُواطَنةِ؟ أم ما زِلنا نُفكِّرُ بدرَجاتِ المُواطَنةِ بحسَبِ ما وَرِثناهُ من تاريخٍ إثنيٍّ وطائفيٍّ منذُ مئاتِ السِّنينَ؟

أيتُّها السَّيِّداتُ.. أيُّها السَّادةُ...

وأنا أمامَ هذا الحشدِ الكبيرِ، وفي موقفي هذا، لا أستطيعُ أن أَغُضَّ النَّظرَ عمَّا جَرى في بلادِنا المَشرِقيَّةِ من تهجيرٍ قَسريٍّ لقُرى سهلِ نِينَوى وحِمصَ وحَلَبَ، وآخرُها في العريشِ في بلادِ مصرَ، والاعتداءِ على الكنائسِ والأديرةِ والمساجدِ، واغتيالِ الرُّموزِ الدِّينيَّةِ والعلماءِ، وخطفِ مطرانَي حلب: بولس يازجي، ويوحنَّا إبراهيم، ولا يزالُ أبناءُ الوطنِ الأصليُّونَ يُقتلعونَ من جُذورِهم؛ لذا أَنتهِزُ فرصةَ هذا المؤتمَرِ للمطالبةِ بالضَّغطِ على أصحابِ القرارِ والنُّفوذِ للسَّعيِ -وبجدِّيَّةٍ- لإيقافِ حمَّامِ الدَّمِ اليوميِّ، والحدِّ من ظاهرةِ الهجرةِ، والوقوفِ إلى جانبِ مَطالبِنا بالإفراجِ عن المَطارنةِ وعلماءِ الدِّينِ وجميعِ المخطوفِينَ، وعودةِ الأمنِ والسَّلامِ إلى مَشرِقِنا الحبيبِ.

والسَّلامُ لكم، والسَّلامُ عليكم.